بسم الله الرحمن الرحيم

Université de Nouakchott

Faculté de Lettres et des Sciences Humaines

Unité de recherche « EL MAAREF » pour les études Historiques, Sociologique et la publication du patrimoine

جـــامـــعـة نواكـشـوط

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

وحدة بحث "المعارف" للدراسات التاريخية والاجتماعية ونشر التراث

Revue d'études en Histoire et sociologie

ISSN 2412-3501

محلة الدراسات التاريخية والاجتماعية

الترقيم الدولي 2412 -3501

N° 225 / REHS

Nouakchott, le : 2020/11/27 نواكشوط في :

Directeur de la revue مدير المجلة

شهادة نشر

يفيد مدير مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، أن البحث الموسوم:

الحجاج المغاربة ومهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر مسالك الحج، للدكتورة تواتية بودالية، جامعة معسكر–الجزائر، تم تحكيمه ونشره في العدد التاسع والثلاثين من مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية وهي دورية أكاديمية محكمة تصدر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط – موريتانيا.

مدير المجلة

أ.م.د. محمد الأمين ولد أن

مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية – المدير Le Directeur – Revue pour les Etudes Historiques et Sociologiques

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالقضايا التاريخية والاجتماعية

جامعة انواكشوط

رقم الإيداع الوطني: 2014 - 1425 الترقيم الدولي ISSN 2412 - 3501

العدد التاسع والثلاثون

2019

Revue d'études en Histoire Et Sociologie

Revue Scientifique spécialisée En L'histoire et sociologie

Université de Nouakchott

رقم الإيداع الوطني: 2014 - 1425 الترقيم الدولي ISSN 2412 - 3501

N°39

2019

مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية

مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية دورية محكمة تعنى بالقضايا التاريخية والاجتماعية يصدرها فريق بحث المعارف للدراسات التاريخية والاجتماعية ونشر التراث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة نواكشوط – موريتانيا.

الرئيس الشرفي: أ.د الشيخ سعد بوه كمرا، عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مدير المجلة ورئيس التحرير: أ.د محمد الراضي ولد صدفن

التدقيق اللغوي:

أ.د عبد الهادي سيد أحمد عبد العال، مصر

د. أحمد ولد حبيب الله، موريتانيا

أعضاء هيئة التحرير:

أ.د محمد الراضي ولد صدفن

أ. د الحمدي أحمد

أ.م د. جمال ولد الخليل

أ.م د. سيدي محمد ولد ختاري

د. الحسين ولد بديدي

الهيئة الاستشارية:

أ.د إسماعيل نوري الربيعي، البحرين

أ.د خالد حسين محمود، مصر

أ. د عيسى محمود العزام، الأردن

أ.د ابتهال عادل إبراهيم، العراق

أ.د فاطمة بلهواري، سلطنة عمان

أ.د محمد بن معمر، الجزائر

أ.د عبد القادر بوباية، الجزائر

أ.د فهد مطلق العتيبي، السعودية

د. أمهادي ولد جقدان، موريتانيا

د. محمد المختار سيد محمد، موريتانيا

شروط النشر

1- يجب أن يكون البحث المقترح للنشر أصيلا لم يسبق تقديمه لمجلة أو أي جهة ناشرة أو أكاديمية، وأن لا يكون جزءا من رسالة عليمة.

2- لا يقل البحث الواحد عن 20 صفحة، ولا يزيد على 30 صفحة حتى تتاح فرصة النشر لأكبر عدد من الباحثين.

3- ترسل البحوث إلى المجلة مطبوعة على الحاسوب باستعمال Word باللغة العربية:

- الخط المستخدم في المتن Simplified Arabic الحجم 14 أما الحواشي فتكون يدوية أسفل المقال؛ بنفس الخط حجم 12

4- بالنسبة للبحوث المحررة باللغة الفرنسية:

- الخط المستخدم في المتن Timed New Roman الحجم 12، أما الحواشي فتكون بنفس الخط بحجم 10

5- أن تكون الهوامش يدوية وفي آخر البحث.

6- أن يكون توثيق الكتب بذكر شهرة المؤلف متبوعا باسمه الأول والثاني واسم الكتاب، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة والناشر ومكان النشر وسنته، ورقم المجلد.

7- أن يكون توثيق الدورية بذكر اسم كاتب المقال، عنوان البحث موضوعا بين علامتي تنصيص " " ، واسم الدورية، ورقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة.

8- يلتزم الباحث القيام بالتصويبات والتعديلات التي اقترحها المحكمون خلال شهر من تاريخ تسلمها.

9- الأبحاث المنشورة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها.

10- يخضع ترتيب الأبحاث في المجلة لمعايير فنية.

11- يكتب الباحث في الصفحة الأولى من البحث إسمه وعنوانه الكامل بالهاتف والإيميل والمؤسسة التي ينتمي إليها، وكذلك الدولة، باللغة العربية والإنجليزية. (ويفضل أن يكون اسم الباحث ثلاثيا).

12- عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية،

13- يكتب ملخصا باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية بما لا يزيد عن 100 كلمة لكل منهما، وكذلك الكلمات المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.

14- مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية محكمة، وهي ترحب بجميع المقالات المستوفية للشروط السالفة الذكر، ولا ترد المقالات لأصحابها في حال عدم نشرها.

وعليه نرجو من كل الراغبين في نشر أعمالهم بالمجلة أن يبعثوا بها على البريد الإلكتروني التالي:

mohamed_lemin@yahoo.fr

محتويات العدد:

-تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1919- 1962م)، د. عبدالله الزبير يوسف الزبير	ص 5
-الإحتفال بالمولد النبوي الشريف في عهد الدولة الزيانية 633-962هـ/1235-1554م أ.د. عبد القادر فكاير	ص 29
-المدرسة الاستشراقية الفرنسية ودورها في تحقيق التراث المخطوط ليفي بروفنسال أنموذجا صفة جزيرة الأندلس "جمع وتحقيق"، د. بوشريط أحمد	ص 50
-الحجاج المغاربة ومهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر مسالك الحج، دة. تواتية بودالية	ص 67
-إيرادات ومصروفات بيوت المال في دولة المهدية (دراسة تطبيقية لعينة من الكشوفات)، د. نجلاء عبد الله محمد يوسف	ص 84
-رحلة ابن حمزة المغربي للمجاورة بمكة في القرن العاشر الهجري، أ.د إبراهيم محمد عليّ محمد مرجونة	ص 98
-الفقارة ودورها في الاستيطان البشري وهيكلة البناء الاجتماعي في القصر من خلال نظام "الخراصة" قراءة سوسيولوجية لمجتمعات "توات" في بلاد" القصور" أدرار، د. ثياقة الصديق	ص111
-توارث العلم والعلوم في بلاد السودان الغربي بين التأثر وصنع الكيان، أ. هواري رضوان	ص126
-الديانتين اليهودية والمسيحية في شمال إفريقيا وتأثيرهما الاجتماعي والحضاري في المنطقة، أ.د. عبد الحميد عمران	ص143
-الهجرات الأندلسية إلى المغرب: السياق التاريخي والتأثيرات الحضارية، د. العربي بنرمضان	ص166
-الممالك التشادية بين القوة والانحطاط وبداية الأطماع الأوروبية، د. نوي بن مبروك	ص182
-زاد السالك شرح أسهل المسالك للشيخ محمد باي بلعالم، دراسة نقدية، د. عمر بن دحمان	ص198
-تمردات المماليك الجلبان و مدلولاتها السياسية و الأقتصادية في عهد السلطان قايتباي، د. عبدالعزيز بن فايز بن حسن القبلي	ص211
-دور المدرسة في ترسيخ قيم المواطنة لدى التلاميذ دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ الطور الثانوي في الجزائر، د. إيكوفان شفيق	ص261
-" التعلم الإلكتروني لتحديث منظومة التعليم العالي بليبيا" ((رؤية مقترحة في ضوء تجارب عالمية وعربية معاصرة))، أ. أريج إبراهيم عبد الحميد	ص275
-النشاط الخارجي للنخبة الإصلاحية في الجزائر من خلال جريدة الشاب المسلم1952-1954 (الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أنموذجا)، أ. رمضان عثماني	ص295
-الأحاديث الواردة في فضل الرباط في بيت المقدس وأكنافه دراسة تحليلية، د. إسلام حسن محمد طزازة	ص315
-دور زينب النَّفزاويَّة في تأسيس وبناء دولة المرابطين، د. خالد حموم	ص339
المقاومة الموريتانية للاستعمار الفرنسي ''المقاومة العسكرية و الثقافية في البراكنة نموذجا''، الشيخ باي ولد محمد الأمين	ص351

كلمة العدد:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين.

أعزاءنا الكرام نقدم إليكم العدد التاسع والثلاثين من مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، وهو عدد حافل بمشاركات متنوعة من فلسطين والسعودية والسودان ومصر والجزائر وليبيا والمغرب وموريتانيا. نشكر أصحابها على الجهد والسعي لإثراء صفحات مجلتهم بما يخدم وينفع، فلهم منا كل الوفاء والتقدير.

لقد حاولنا منذ صدور العدد الأول من المجلة، أن نشكِل منبرا مفتوحا لجميع الكتاب من الأساتذة والباحثين من مختلف الأجيال والأماكن والبلدان والتوجهات الفكرية؛ بمقترحاتهم وآرائهم، ليسلكوا معنا سبيل الاهتمام بالبحث العلمي وترقيته، الأمر الذي ساهم في وصولنا اليوم للعدد التاسع والثلاثين، وهو ما يحفزنا إلى مزيد من الجهد والعمل الدؤوب.

وفي الختام نقدم شكرنا إلى كل من قدم لنا يد العون، وأبى إلا أن يساهم حتى يرى العدد من هذه المجلة النور، والذي ستزدان به الساحة العلمية وحقل البحث العلمي بشكل خاص في هذه البلاد وغيرها.

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل.

هيئة التحرير

الحجاج المغاربة ومهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر مسالك الحج

Moroccan pilgrims and the task of promoting virtue and preventing evil through the paths of pilgrimage

دة. تواتية بودالية

جامعة معسكر، الجزائر

Boudalia touatia
Boudalia.touatia@univ-mascara.dz

الملخص

لقد شكلت مسالك الحج لدى علماء الغرب الاسلامي طريقا للدعوة والإصلاح ونشر الاسلام في كل أماكن انتقال ركب الحجاج. وتنشأ هذه الممارسة الدعوية من وعي أخلاقي وعقائدي وديني واثبات الهوية الدينية الصحيحة بعيدا عن الخرافات والاتجاهات المذهبية العقدية المتطرفة. وكان من نتائج هذا الدور ازدياد عدد العلماء والدّعاة في ترسيخ مهمة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر عبر مسالك الحج إما سلمياً أو بالقوة.

الكلمات المفتاحية: مسالك الحج– فك النزاعات– الاصلاح الاجتماعي– انتهاك الحرمات–

Abstract

The pilgrimage routes of Islamic scholars of the Islamic West have been a way of calling, reforming and spreading Islam in all places where the pilgrims travel. This prophetic practice arises from moral, ideological and religious awareness and the identification of true religious identity away from superstitious doctrines and doctrinal tendencies. The result of this role was an increase in the number of scholars and preachers in establishing the task of promoting Promotion of Virtue and Prevention of Vice through Hajj, either peacefully or by force.

Keywords: Hajj routes - Conflict resolution - Social reform - Violation of freedoms -

المقدمة:

لقد شرع الله لعباده الأحكام وكلفهم بالوقوف عند حدودها واجتناب نواهيها مصداقا لقوله تعالى: "**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**"[1]. فهذه الآية تبيّن قاعدتها وأصلها التّشريعي، ومجالها التّطبيقي في حماية أفراد المجتمع من جميع أشكال الفساد حفاظاً عليه فكرياً وروحياً وأخلاقياً .

والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر" هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين[2]، ولو طوي بساطه، وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النّبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت

الضلالة وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد ولم يشعورا بالهلاك إلا يوم التناد"[3]. وبناء على التعريف السابق، اتسمت الدعوة إلى الله في الاسلام بإزالة جميع الأضرار التي تلحق بحياة الإنسان تحقيقا لمقاصد الشريعة الاسلامية وهي حفظ الدين والنّفس والنّسل والمال والعقل[4].

يحفل تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط بفترات حاسمة نضج فيها فكر الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهي مواجهة حقيقية لإصلاح جميع المناكر في المجتمعات الاسلامية. وهو الموقف الذي عبر عنه العلماء والفقهاء بشدة في ظل الصراعات السياسية، ومن هنا كانت شريحة الحجاج المغاربة تملك قوة المجابهة بغية الاصلاح في طريق الحج.

وتأكيداً على الأداء الدّعوي الذي أدته طرق الحج عبر تاريخ العصر الوسيط؛ فإنّ الدراسة تركز على معالجة أثر النّشاط الدّعوي المتنوع للحجاج المغاربة في المناطق التي ساروا فيها، على ضوء كتب الرحلة الحجازية المغربية والأندلسية؛ حيث قيدت هذه المصادر مختلف المواقع الجغرافية التي يمر منها الحاج ليصل إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج.

وتحقيقا لهذا المسعى وقف الحجاج في طريقهم إلى الدّيار المقدسة موقف الرافض الممتنع لأشكال الفساد، ومارسوا مهامهم لتّحقيق الخيرية للأمة الاسلامية. ولا تعوزنا القرائن في تحليل مختلف المجاهدات الإصلاحية، والتي تقدم بعضها وصفاً جامعاً لدور مسالك الحج في تحقيق العدل، ومنع التّشردم السلوكي والأخلاقي، فضلا عن تحقيق الأمن الاجتماعي والفكري والديني. ويمكن أن نعالجها في الأدوار التالية:

1- <u>الدّعوة إلى الله</u>

الدين مصلحة ضرورية عند الحاج المسلم لأداء الأمانة وتبليغ رسالة ربه في حدود طاقاته البشرية؛ فتحققت واجباته في طريقه إلى الديار المقدسة ذهاباً وإياباً، وبذل جهده واجتهاده في تعليم الأصول الصحيحة للشريعة الاسلامية عن طريق النّصح والإرشاد، وعلى سبيل الذكر تحدث أبو حامد الغرناطي في رحلته إلى الحج عن أولاد الخوارزميين في الإسكندرية بقوله:" يخدمون الملوك ويتظاهرون بالنّصرانية ويكتمون الإسلام، وأولاد المغاربة لا يخدمون النّصارى إلا في الحروب، وهم يعلنون بالإسلام، ولما دخلت بين أولاد المغاربة أكرموني، وعلمتهم شيئاً من العلم، وأطلقت السّنة بعضهم بالعربية، وكنت أجتهد معهم في الإعادة والتّكرار في فرائض الصلاة وسائر العبادات، واختصرت لهم الحج.... "[5].

عمد أبو حامد الغرناطي إلى معاشرة الأهالي حتى يؤدي وظيفته الدعوية بطريقة رشيدة وصحيحة تساعد على ترسيخ العبادات عند النصارى، وتأصيل الدين الاسلامي في نفوسهم بتعليمهم اللغة العربية لغة القرآن الكريم المصدر الرباني في التشريع الاسلامي. ورغب في نفسه الاجتهاد بالإعادة والتكرار للترغيب، وهو

الالتزام الذي سار عليه أبو يحي أبو بكر الصنهاجي المعروف بالسائح، الذي أقام في مصر مدة أثناء رحلته إلى الحج وعند عودته دخل بلاد السودان، وقال: " وجدت في جزائر البحر أقواما لا يعرفون الإسلام، فعلمت الرجال والنساء الاسلام والشرائع ولم أفارقهم حتى كانوا يصلون صلاة التسبيح، فرغبني ملكهم اقيم عنده ويسلم لي أمره فأبيت"[6].

لقد كانت دعوة الحجاج سلمية ترغيبية وفق الاصلاح الاسلامي لتعم النّاس جميعا، والحديث ينسحب إلى دعوة الأقوام اليهودية والنّصرانية إلى دين الاسلام بالموعظة الحسنة، والدعاء لهم بالهداية إلى دين الله. وكان بعض الحجاج مؤهلين لذلك فقد رغب عبد الله بن الصباح الأندلسي الرهبان تأدية المسلمين ركن الحج إلى درجة التّمتع الغيبي بالوصف، وصدق التّعبير الروحاني عند الحاج أدركته عقول الرهبان، وشعروا بميلهم إلى الهداية.

ويفصح عن هذا الأمر في رحلته بقوله:"سألني كثير من أحبار اليهود ورهبان النّصارى في الشام والعراق عن الكعبة هل نصلها ألا؟ فقلت نصلها في أربعين يوما. فقال لي البعض منهم: ياحاج صفها لي حتى أسمع منك كيف تصلون إلى البيت، فوصفت له بالتّمام مثل رؤية العين وكأنه شهيد بعينه، فقال لي: والله يا حاج : لقد وصفت بالحق، ما هذا إلا عجب في هذه الامة من المسلمين. أما والله أعلم، إنهم يطيرون. فقلت له أغرب مما وصفت لمكة أنهم يسافرون على أرجلهم ويصلون صحاحا، ويرجعون كذلك إلى أقصى المغرب وأقصى المشرق فخر مغشيا عليه، ثم أفاق فقال: يا حاج، امشي معي إلى داري أطعمك من طعامي، وأسقيك وأعطيك شيئاً من الزاد، فقلت له: جزيت خيراً يا راهب، فقال لي: أدع لي ياحاج دعوة.... وقلت: اللّهم أمته على خير الأديان ياالله، فجر يده على وجهه وقال أمين"[7].

وفي مجال الدعوة إلى الهدى عند ابن الصباح الأندلسي في رحلته إلى الحج لم يمنعه واجبه الديني من عبور أماكن النّصارى، حيث يورد حب الديانات الأخرى للحجاج وتفضيل الاسلام على دينهم، وكان ذلك عند مروره بقرية النّصارى في بلاد الشام، فإذا هو واقف على جدار بيت:" فغذا بإمرأة حسنة مكتسية بكسوة الاسلام...قالت لي: أقعد يا حاج...ودخلت بيتها وأخرجت خبزا سخوناً ولبناً وحليباً وقالت: كل يا حاج فأثرت الخبز في اللّبن وأكلت حتى شبعت...فلما أردت القيا من عند المرأة قالت لي: يا حاج أدع لي ولهؤلاء الأولاد.. وأعطني من هذا العُقد متاع ثيابك نجعلها شاشية أولادي على وجه البّركة لأنكم جايين من البيت المبارك... وقالت أدع لي، فمدد ت يدي لأدعو لها ...وشككت لما كانت القرية للنّصارى...ولما أبطيت في الدعاء..قالت يا حاج أنا وأولادي وآباؤنا نصارى...فحن قلبي إليها وسكت. وقلت: لا إله إلا الله محمد رسول

الله، يخلق الله ما يشاء، خلق النّار وخلق لها أهلا وفعت عيني إليها وهي تبكي وأولادها بيدها وهي واقفة تنتظر مني الدعاء، فقلت اللّهم ربي أمتها على خير الأديان، فقالت: آمين وجرت يدها على وجهها."[8].

إنّ سياسة التسامح بين الأديان جعلت من الحجاج في طريقهم رسلا لتحقيق التوحيد بين الشعوب وتحويل النّاس من الكفر إلى الايمان. والحكمة من التبرك بالحجاج هو الرغبة إلى الاسلام والتشوق لزيارة بيت الله الحرام، وتحمل قضية الدعوة إلى الله الحرص على التأثير في النفوس بما يرضي الله ورسوله عليه الصلاة والسلام. وهنا يقع واجب الدعوة على كل حاج يتحلى بالمؤهلات العلمية والنفسية والأخلاقية.

2- **<u>الإصلاح الاجتماعي للحجاج في طريقهم إلى الديار المقدسة</u>:**

الإصلاح " هو تصويب ما أعوج في ممارسة أمور الدين والدنيا عند المسلمين، والعودة بها إلى الأصل الذي لم يلحقه زوائد ومحدثات"[9]. والإصلاح الاجتماعي" أصل شرعي من أصول الإسلام، يقوم على قاعدة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ويقتضي ذلك أن يكون في المجتمع أناس يقومون على إصلاح أموره في شؤون الدنيا والدين، بحيث تكفل قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التقدم الدائم والمستمر للمجتمع الإنساني، مع تغير الظروف والبيئات، وتجدد المصالح والعادات، فيكون القصد من ذلك تحقيق الإصلاح الديني والخلقي والاجتماعي"[10].

ومما لا شك فيه واجه الحجاج في طريق الحج مشاهد غريبة لبعض المجتمعات المسلمة التي استحوذ عليها الفساد الاجتماعي، وفي السياق نفسه لم تغفل الرحلات الحجازية الحجية عن مسألة الإرشاد وتصحيح الصورة التي تخرج المرأة المسلمة من عفافها وحياءها، حيث انسابت قيمها الأخلاقية بين التحلل والاباحة والفساد الذي يرمي إلى تحطيم الأسرة والمجتمع في آن واحد.

وأصبحت هذه القضية الشغل الشاغل للحجاج وبخاصة العلماء منهم، وانصب اهتمامهم على منع المنكرات ومحاربة ظاهرة التكشف في المجتمعات التي تتبع العادات المغلوطة في مفاهيمها عند أهلها. ومن القرائن الكاشفة عن الانحطاط الأخلاقي ما ورد عند العبدري"ولم ير عبرة من لم ير قتالهم على الركن الأسود وعلى دخول الكعبة. ترى الرجال يتساقطون على النساء والنساء يتساقطن على الرجال، ويلتف البعض بالبعض، ويتأهبون للقتال ويستعدون للدفاع والملاكمة. وقل ما يتمكن أحدهم من الركن فيفارقه حتى يثخن ضربا... وأما قتالهم على باب الكعبة وتطاحنهم وتعلق بعضهم ببعض فعجب، وذلك أن الباب مرتفع أزيد من القامة، وفيه قوم وقوف تنثال عليهم الدنانير والدراهم بلا حساب حلوانا على دخول البيت، فإذا أدلوا شخصا من الأرض تعلق به آخرون، فتراهم سلسلة أولها في الكعبة وآخرها في الأرض. ورأيت رجلا ينزو ليجد ما يتعلق

به، فصادف ساق امرأة فقبض عليه من أعلاه وتعلق به مباشرة من غير حائل. وتراهم في قبة زمزم يتقاتلون على الماء... "[11].

ونظرا لعظم وقبح ظاهرة التكشف التي حرمتها الشريعة والعقل معا، تصدى الحجاج للمناكر المجاهر بها بقوة وغضب لوضع حد للفساد. ومن الأحداث التي أثارت غضب ابن جبير على بعض أفراد الركب الجزائري سيما أهل عامر بعد خروجهم من المدينة المشرفة في طريق العودة؛ إذ يذكر "...وقد أصابتني منهم عداوة عظيمة من أجل أني آمرهم بالسنة والقيام بالأحكام الشرعية لا سيما السير بسيري الشيخ، والنزول بنزوله وستر نسائهم لأنهن يذهبن مكشوفات العورات فيبدين زينتهن لكل الناس بل يتزين لأجل ذلك ليرعن من فتن بهن؛ فأردت إقامة الحد عليهن وعلى أزواجهن فصارت لي فتنة عظيمة... "، ويضيف "... ثم تطاير البعض وتشاءم البعض الآخر وتاب من بقي منهم..."[12]. والظاهر أنّ الوعي الديني لدى الحجاج حقيقة تجلت معالمها في الممارسة الفعلية في التنبيه، والتحذير والمواجهة المباشرة للتغيير، والتصحيح في مجال الأخلاق.

والأمر المهم مسألة الرفض ومنع المنكر لدى الحاج عند مروره بالمكان، وهي من الخدمات الدّعوية الإصلاحية التي تحفظ للمرأة كرامتها ومكانتها في المجتمع. ويعلل الورثيلاني موقفه من مسألة الاختلاط إلى الأحاديث النّبوية التي ذكرها وإلى مبدأ سدّ الذرائع في مجتمع يعيش التّفكك الاجتماعي ويكون ذلك استدراجا "حتى يغلبه الشيطان فيقع في مهواة الضلال و ربما سقط من عين الله إلا أن يتداركه الله من فضله..."[13].

لقد كانت مسالة الاستدلال بالسنة النبوية دليل على استمرار الظاهرة ونبذها في كل زمان ومكان سواء في العصر الوسيط أو من بعده.

وتعدت الدّعوة إلى إصلاح المرأة من طرف الحجاج المسلمين إلى السلاطين الأفارقة من خلال اتصال سلاطين السودان الغربي بالعلماء والفقهاء في الحجاز ومصر وتأثرهم بهم كثيراً، فالسلطان منسا موسى أثناء إقامته في القاهرة حرص على مجالسة العلماء والفقهاء، مثل مدرس المالكية القاضي محمد بن أحمد بن ثعلب المصري[14]، والفقيه أبي الروح عيسى الزواوي (ت 743هـ / 1344م)[15]، كما استقدموا الفقهاء المالكية إلى بلادهم لتعليم النّاس أصول دينهم وتعاليمه[16]. وساهموا في القضاء على العادات المذمومة في المجتمع وأجبروا النساء على اتباع التعاليم الإسلامية في الزي ومنع الاختلاط[17].

وتطورت الأمور عندهم فنظموا العلاقات الزوجية، فمثلا أصبح غير مباح أن يعاشر الرجل المرأة بدون عقد زواج، وأصبحت للمرأة مكانا من العدم إلى الوجود بعدما إعتاد أهل مملكة مالي على فعله من تقديم بناتهم للملك فيملكهنّ من غير زواج، ويقول ابن أمير حاجب: "هذا مع كون السلطان منسا موسى متديناً محافظا

على الصلاة والقراءة والذكر، قال: فقلت له: إنّ مثل هذا لا يجوز ولا يحلّ لمسلم شرعا ولا نقلا. فقال: ولا للملوك؟ فقلت: ولا للملوك، وسأل العلماء. فقال: والله ما كنت أعلم، وقد تركت هذا ورجعت رجوعا كليا عنه" [18].

يعتبر الانحراف العقدي والاجتماعي من أخطر البدع الضالة التي تضر بالمجتمعات الإسلامية. ونجد أنّ البدع والشائعات التي انتشرت بين النّاس واستقرت في أذهانهم وكأنّها حقيقة مسلم بها دفعت كثيرا من العلماء لمقاومتها، والتّخلص منها حفاظا على صحة وسلامة النواحي الدينية[19]. وبذلك تحمل الحجاج من الفقهاء مسؤولية الرد على المسائل الفقهية التي تشغل فكر بعض المجتمعات، باعتبارها واجباً شرعياً لتوجيه الفرد نحو الصواب من دون تفرق واختلاف فقهي.

3- دور الحجاج في نقد البدع المذمومة في المناطق التي ساروا عليها

عندما تفاقمت الأمور إلى حد الانحراف عن الدين الإسلامي، حاول الحجاج المغاربة استئصال البدع الضالة عن طريق التمسك بتطبيق الشريعة الإسلامية، والمحافظة على مقاصدها، وإقامة حدودها، وذلك لتحقيق الأمن الاجتماعي[20]؛ ففي سبيل حفظ الدين كانت ظاهرة التّبرك[21] بالمزارات من أوليات الحجاج عبر طريقهم إلى الديار المقدسة.

واختلف المسلمون في أمور التّبرك بين المشروع والممنوع؛ فعلى سبيل الذكر لا يجوز التّبرك بالمزارات المشكوك فيها، وهو الأمر الذي انتقده بشدة التجيبي السبتي (ت730هـ/ 1329م) في رحلته وبخاصة في القاهرة ومنها قوله:" إنّي مررت بروضة منها بين القاهرة ومصر، فقيل: هذه روضة زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما، وكتب ذلك على بابها، ولها من يقوم بها، ويرتزق في ذلك، فالنّاس يقصودنها للتبرك بزيارة من فيها"[22]. ويضيف :"وهذا عندي غير صحيح، ولم أرى من تنبه إلى ذلك، ويوسع في شرح في وفاة أبناء علي بن أبي طالب بكربلاء من أرض العراق[23].

ويعيب على النّاس تساهلهم ووهمهم بصدق هذه المظاهر المُلبسة بقوله:"وكثيرا ما يقع الوهم لمن يقلد العامة فيما يقولون من غير بحث عن صحة"[24]، وأنكر التجيبي السبتي على المسلمين زيارة بعض المشاهد مثل مشهد عبد الله ابن الزبير[25]. ومشهد أحمد بن أبي بكر الصديق[26]. ومما زاد الطين بلة، البدع الملاصقة للمناسك وأعظمها الوقفة يوم الجمعة، وفيه رأى ابن جبير المنكر ونفاه بقوله : "حرصًا منهم على أن تكون الوقفة بعرفات يوم الجمعة، كأنَّ الحج لا يرتبط إلا بهذا اليوم بعينه، فاختلقوا شهادات زورية ... فشهدوا عند القاضي برؤيته، فردهم أقبح رد وجرح شهاداتهم أسوأ تجريح "[27].

لقد حاول الحجاج من العلماء والفقهاء نبذ الشرك الفاشي في بعض المناطق التي ساروا إليها، ولكنهم لم يستطيعوا تغيير المنكر الظاهر بسبب الجاهلية الموروثة وخشونة أهلها مثل مدينة عيذاب:" وأهل هذه البلدة الساكنون بها ينصرفون عراة رجالا ونساء، ولا يوارون شيئا غير خرق زرق، أو جلود يستترون بها عوراتهم فقط، وشعور نسائهم بادية، وثديهن، ويذكر أنّهم لا يعاقبون على الزنا، نعوذ بالله من ذلك، ولا يعارون عليه[28]. وهنا تظهر مسؤولية الحجاج في تبليغ الدّعوة اللّسانية لإصلاح النّفس ومواجهة المنكر عن طريق إزالة العقبات على الحجاج بالتبليغ، واتخاذ الحرص في بعض المسالك المتعددة الأهواء والشبهات.

ومن أبرز الظواهر الكاشفة علن الاختلال الديني في مجال العبادات، ما ذكر ابن بطوطة عن سلوك الخطباء في الكلام والإبلاغ اللاواعي بالتلحين بقوله: "شهدت مرة بمسجد البصرة صلاة الجمعة، فلما قام الخطيب إلى الخطبة وسردها، لحن فيها لحنا كثيرا جليا، فعجبت من أمره، وذكرت ذلك للقاضي حجّة الدين. فقال لي: أنّ هذا البلد لم يبق به من يعرف شيئا من علم النحو. وهذه عبرة لمن تفكر فيها"[29]. ووصل إلى مستوى اليأس من خطباء البصرة بقوله:"هذه البصرة التي إلى أهلها انتهت رياسة النّحو، وفيها أصله وفرعه، ومن أهلها إمامه الذي لا ينكر سبقه، لا يقيم خطيبها خطبة الجمعة على دؤوبه عليها"[30].

وعلى غرار ذلك اتخذ بعض الخطباء دينهم لعبا ولهوا في اكتساب المال، واصرارهم على ممارسة البدعة، فقد استعظم ابن جبير البدع المنتشرة في المدينة والمتمثلة في إطالة جلوس الخطيب يوم الجمعة بعد الخطبة الأولى لجمع المال من المصلين ثم يعود عقب ذلك لمواصلة خطبته بقوله :" وفي يوم الجمعة، وهو السابع من محرم، شاهدنا أمور البدعة أمرا ينادى له الإسلام يا الله يا للمسلمين. وذلك أن الخطيب وصل للخطبة، فصعد منبر، ﷺ ....فلما فرغ من الخطبة الأولى،جلس جلسة خالف فيها جلسة الخطباء المشروب بها المثل في السرعة، وابتدر الجمع مردة من الخدمة يخترقون الصفوف، ويتخطفون الرقاب، كُدْيَةً على الاعاجم والحاضرين لهذا الخطيب القليل التوفيق، فمنهم من يطرح الثوب النفيس، ومنهم من يخرج الشقة الغالية من الحرير فيعطيها، وقد اعدها لذلك، ومنهم من يخلع عمامته فينبذها، ومنهم من يتجرد عن برده فيلقي به.... ومنهم من يدفع القراضة من الذهب.. ومن النساء من تطرح خلخالها وتخرج خاتما فتلقيه...والخطيب في أثناء تلك الحال كلها، جالس على المنبر يلحظ"[31].

وهذه الحالة الميؤوس منها يكفي الإعراض عنها بالمواجهة لكره النّاس الانتظار ممن له دين:" وصحة من الناس، وأعلن بالصياح، وهو قاعد ينتظر اشتفاف صبابه الكدية ...فاجتمع له من ذلك السحت المؤلف كوم عظيم أمامه، فلما أرضاه قام واكمل الخطبة"[32].

وتحمل العلماء وبعض الحكام مسؤولية الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، تثبت الكثير من النصوص اضطراب الوضع الأمني في بلاد الحجاز كما سنذكر، السبب في ترسيخ الاعتقادات المبتدعة في نفوس العامة. وهو الأمر الذي شغل بال السلطة الزمنية عبر العصور بالتكفل بمهمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى سبيل الذكر انتهت البدع على يد الصاحب زين الدين المعروف بابن الحناء[33] سنة (701هـ / 1301م) عند مشاهدته لما يحدث في البيت الحرام من أمور فامر بإزالتها وانتهت هذه البدعة على يديه[34]، ولعل سبب ظهور هذه البدع المفسدة راجع الى ضعف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة واقتصار العلماء على التعليم والحديث دون التعرض لذلك الا من قلة[35].

تقر هذه القرائن عن الانحراف العقدي والاجتماعي لدى النخبة الدينية والعامة من الناس، وإنكار هذه الافعال الشنيعة عند الحجاج يعبر عن الصحوة الحقيقة للإسلام لدى العلماء المغاربة في طريقهم إلى الحج .

3- **الفصل في القضايا الفقهية**

تحمل الحجاج من الفقهاء مسؤولية الرد على المسائل الفقهية التي تشغل فكر بعض المجتمعات، باعتبارها واجباً شرعياً لتوجيه الفرد نحو الصواب من دون تفرق واختلاف فقهي. فكلما مر موكب من مواكب الحجاج يستغل أهل المنطقة فرصة وجودهم في بلادهم لتذليل صعوباتهم الفقية. فقد أكد الرحالة أنه:" لما وصلنا بني عباس وجه إلى سيدي إبراهيم السوسي، وكان معنا في الركب سؤال منظوم في ثلاثة أبيات وحاصله أنّه قال :هل يجوز للشاعر اللّحن في القوافي أم لا ؟ فاستهجنت هذا السؤال واستنكرت أن يكون صاحبه ممن له بضاعة من الأدب ماسة، وعلمت أن قصده السؤال عن ضرائر الشعر وما يقع فيه مما هو بعيد عن منهج العربية ولا يجري على قواعدها . فأجبته بأبيات مضمنها أن اللحن لا يسوغ في شيء من الكلام نظمه ونثره، إلا أنّ النظم لما أضيق من النثر اغتفرت فيه أشياء كثيرة لا يغتفر مثلها في النثر ولا يسوغ"[36].

ومن المعلوم أنّ الاختلاف يعود إلى حقيقة الإصرار على الباطل والإساءة في التّأويل وفهم الشرع وأحكامه، وحتى يتغلب النّاس عن الأخطاء، فهم بحاجة إلى هؤلاء الحجاج لاستبيان أمورهم المشبوهة. وأشار في هذا الشأن محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي في رحلته أنّه لما ارتحل الركب"من القنادسة تاركين قرى بشار ذات اليمين فبتنا .. بمدشر واكدة قبل الظهر،... وبه سئلت:عمن حلف بحرام زوجته إن لم تسق الماء ليكونن كافرا، ماذا يلزم الحالف؟ فأجبت:بأنّ الحالف عاص في يمينه، فإن سقت الماء انحلت عنه يمينه وتلزمه التوبة والاستغفار، وإلا فإن ضرب للسقي أجلا ولو بالعرف ومضى زمانه ولم تفعل حرمت عليه بمقتضى يمينه ما لم يبادر بالردة عياذا بالله، فتطلق عليه طلقة بائنة عملا بقول المتن" :لا ردته فباينة ولو لدين زوجته"[37].

ويضاف إلى الأثر النّافع للركب الحجاجي تكرر المساءلات في الشؤون الأسرية، والتذكير لهذه الأحوال الشخصية هو استجابة لتبليغ شروحات فقهية بطريقة طوعية منقولة من علماء السابقين كالبرزلي واللّخمي من العصر الوسيط، والاستشهاد بالفتوى دليل على استمرارها في العصر الحديث، ومن ذلك يذكر أبو العباس أحمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي السجلماسي أنه سئل بالقنادسة" عن زوجة غائب قامت في غيبته بحق النفقة، فباع لها الحاكم أصله بعد ثبوت جميع الموجبات ثم قدم الزوج فأثبت أنه ترك لها النفقة .فهل له نقض البيع أم لا؟. فأجبت:أنه ليس له ذلك، وإنما له أخذ ثمنه من من قبضه، لما صدر به البرزلي ونقله الحطاب، وقال مثله للخمي من :أن المدين إذا بيع أصله في غيبته لقضاء دينه ثم قدم فأثبت البراءة منه، أن البيع لا ينقض، وإنما يرجع بالثمن على من قبضه .وقد أشار إلى ذلك ابن عاصم في ذي الغيبة المتوسطة بقوله والله تعالى أعلم."[38].

4- <u>أثر الحجاج في الفصل بين المباح والمحرم</u>

لقد نجحت دعوة الحجاج في التأثير على المناطق التي ساروا عليها، وفي محاربة الانحرافات التي تمردت على العقيدة الاسلامية وقيمها، وصارت بعض القضايا مصدر قلق عند الحجاج وبخاصة الفقهاء والعلماء؛ حيث تدخل الحجاج ضمن المسؤولية الفردية بتحقيق المكاشفات الصوفية الداخلة في مسألة التأويل الظاهر والباطن نظرا لاستجابة الناس لتلك الكرامات وأقوال الأولياء عبر طريق الحج.

ومن أجل تحقيق الابلاغ الشرعي في الكشف الصريح عن الحقائق الخاصة ببعض الأولياء يعرض ابن جبير موقفه من مثل هذه المكاشفات بقوله " وما أطنبت في هذا إلا أني رأيت كثيرا من الجهلة يغتر بأمثال هذا ويحمله على ظاهره وإلا فإنا والحمد لله ممن يعتقد تنزيه ساحة الأئمة الصوفية عن الكذب والافتراء ويثق بأقوالهم ويصدق كراماتهم ويحمل ما أشكل على أحسن محامله ولا أطعن فيه بوجه وأسلم لهم فيما لم يتبين لي وجهه والمنة في ذلك لله وحده." [39].

5- <u>موقف الحجاج من انتهاك حرمات الله:</u>

إنّ من أشد المحرمات التي واجهها الحجاج الانحرافات السلوكية الجماعية وإشاعة الاباحة وانتهاك الحرمات في بعض المناطق التي يسلكها الحجاج، ومن مواقف الخزي الذي شاهدها ابن جبير ببلاد الصعيد:" التعرض لمراكب المسافرين وتكشفها والبحث عنها وإدخال الأيدي إلى اوساط التجار، فحصا عما تابطوه أو احتضنوه من دراهيم أو دنانير"[40]. ويضيف في انتهاك حرمة الجسد والتعدي عليه بالتكشف بقوله :" فكيف عن التكشف لما يرجى ستر الصون دونه من حال لا يريد صاحبها أن يطلع عليها"[41]، ويصرح عن غضبه من الموقف:" ما يقبح سماعه وتشنع الاحدوثة عنه"[42].

وعن الظاهرة نفسها يصف العبذري هذا التحدي على الحقوق الفردية بقوله:" لما وصل إليهم الركب جاءت شرذمة من الحرس لا حرس الله مهجتهم الخسيسة، ولا اعدم منهم لأسد الآفات فريسة، فمدوا في الحجاج أيديهم. وفتشوا الرجال والنساء، وألزموا أنواعا من المظالم وأذاقوهم الوانا من الهوان....وما رأيت هذه العادة الذميمة والشيمة اللئيمة في بلد من البلاد"[43].

وحفاظ على الحقوق الفردية والخصوصية أنكر ابن جبير بشدة الظاهرة، وحاول الأخذ بالموعظة والتذكير بحدود الله لمنعهم فلم يلتفوا إلى كلامه وفتشوه كما فتشوا غيره[44]. وبالرغم من ذلك نظم قصيدة ناصحا لأمير المسلمين صلاح الدين بن أيوب مذاكرا له بالله في حقوق المسلمين منها هذه الأبيات التي يشرح فيها مدى خزي الذي يتلقاه الحجاج بقوله[45]:

يعنت حجاج بيت الإله ويسطُو بهم سطوة الجائر

ويكشفُ عما بأيديهم وناهيكَ من موقف صاغِر

وقد أوقفوا بعدما كشفُوا كأنَّهم في يدِ الآسر

ويلزمهم حلفاً باطلاً وعقبى اليمين على الفَاجر

وإنْ عرضتْ بينهم حرمة فليس لها عنه من ساتر

ويطلب منه التّدخل لتغيير المنكر بقوله[46]:

فما للمناكر من زَاجر سواك بالعرفِ من آمر

وحاشاك إن لم تزل رسمُها فمالك من النَّاس من غادر

نذَرتُ النَّصيحة في حقكُم وحق الوافاء على النَاذر

ونظرا لعظم وقبح الظاهرة التي حرمتها الشريعة والعقل معا تصدى الحجاج لها بقوة وغضب لوضع حد للمناكر المجاهر بها. وعلى سبيل الذكر ازداد غضب ابن جبير على بعض أفراد الركب الجزائري سيما أهل عامر بعد خروجهم من المدينة المشرفة في طريق العودة إذ يذكر "وقد أصابتني منهم عداوة عظيمة من أجل أني آمرهم بالسنة والقيام بالأحكام الشرعية لا سيما السير بسيري الشيخ، والنزول بنزوله وستر نسائهم لأنهن يذهبن مكشوفات العورات؛ فيبدين زينتهن لكل الناس بل يتزين لأجل ذلك ليرعن من فتن بهن؛ فأردت إقامة الحد عليهن وعلى أزواجهن فصارت لي فتنة عظيمة... ". ويضيف "ثم تطاير البعض وتشاءم البعض الآخر وتاب من بقي منهم."[47]

ويزداد إهانة الكعبة المشرفة المكان المحترم شرعا ولها مكانة مقدسة في الدين وفي نفوس المسلمين، والمقصود هنا انتهاك حرمة بيت الله؛ فقد ابن رشيد السبتي إلى ظاهرة لم يشر اليها غيره من الرحالة وهو

طواف النساء ليلا وهن حاملات الشموع بأيديهن وسافرات عن وجوههن فعبر عن استنكاره للأمر بأنّه من البدع غير المقبولة[48].

وتجاوز الفعل في الاستخفاف إلى القرآن الكريم وقراءه، وهنا يروي ابن بطوطة عندما كان في مجلس السلطان محمد بن آيدين في مدينة بركي أنه:" في أثناء قعودنا مع السلطان أتى شيخ على راسه عمامة لها دؤابة فسلم عليه، وقام له القاضي والفقيه، وقعد أمام السلطان فوق المصطبة، والقراء أسفل منه. فقلت للفقيه من هذا الشيخ؟ فضحك وسكت. ثم أعدت السؤال، فقال لي هذا يهودي طبيب. وكلنا محتاج إليه، فلاجل هذا فعلنا ما رأيت من القيام له. فأخذني ما حدث وأبديت الامتعاض. فقلت لليهودي: يا ملعون ابن ملعون، كيف تجلس فوق قراء القرآن، وأنت يهودي؟ وشتمته ورفعت صوتي، فعجب السلطان وسأل عن كلامي فأخبره الفقيه. وغضب اليهودي فخرج عن المجلس في أسوأ حال. ولما انصرفنا قال لي الفقيه: أحسنت بارك الله فيك. إن أحدا سواك لا يتجاسر على مخاطبته بذلك ولقد عرفته بنفسه"[49]. ولا يخفى علينا أنّ ابن بطوطة عالج الأزمة بالنّهي عن الذم المنتهك وهو عقاب يحكمه العقل قبل الشرع.

والحاصل فقد أعرض الحجاج عن المحرمات بالقلب والفعل الرافض للإهانة، وتمخضها وسط العامة، والقصد من انتهاك حرمة الله تجاوزات أغضبت الحجاج بصدق وتعظيما لحرمات الله والشعائر الدينية.

6- <u>إصلاح ذات البين وفك المنازعات في مسالك الحج:</u>

يقول القرطبي الاصلاح بين الناس من فرائض الله على عباده، وهو فروض الكفاية، الواجب على القادرين من المسلمين ممن تحصل بهم الكفاية القيام بها، لأنّه في تركه والتساهل في خطرا عظيما وشرا مستطيرا[50].

ولأهمية الاصلاح ذات البين أوجب الاسلام استخدام القوة في الاصلاح لقوله الله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[51].

وإنّ الاصلاح ذات البين من الأهداف النّبيلة للحجاج في طريقهم إلى الدّيار المقدسة وذلك لتعزيزي الروابط بين المسلمين، ورفع الخصومات التي عجز السلطان عن ايجاد الحلول لها. وبما أن الركب الحجاجي لديه دعوة توحيدية تتسم بقطع الخلاف والتّناحر؛ فإنّ الأساليب الاصلاحية تنوعت بين الترغيب والترهيب. ولقدر ترتب عن اصلاح ذات البين الحرص على إزالة العثرات في طريق الحجاج التي تتعرض لمخاطر اللصوص وقطاع الطرق. وليس أدل على رسوخ الخطر على طريق الحج واستمرارها، ما وصفه العبدري من تصرفات زواوة وزواغة: " ذوي الأنفس الخبيثة والقلوب الزواغة معتقدات شنيعة وأعمال كسراب بقية ومذاهب سوء"[52].

وزاد الحاق الضرر بالحجاج والعنف المسلط عليهم فإذا « استأمن إليهم حاج لم يرعه إلا تلفيق المعاذير عن إساءة رعي الخنازير لأنهم يبيعونها بأبخس الثمن"[53].

ومع ذلك سلك الحجاج لإصلاح ذات البين وتحقيق أمن الطرقات مسلك القوة، وهي وسيلة:" الحزم في ضبط الأمور وحل المشكلات، والجد في تصحيح الأخطاء ومعالجتها، وعدم التهاون والتساهل في كل ما يعكر صفو الأمن ويدنسه، أو يحاول العبث به سواء كان ذلك في المجال السياسي أو الاجتماعي أو الفكري أو الاقتصادي، وغير ذلك من مجالات الأمن وأنواعه[54]. إذن القوة ضرورة لتعنت الخصوم وحاجة ملحة لقطع دابر الشر.

لقد حققت السلطة وحكامها المرافقين للموكب الحجي التوازن على طريق الحج واستعملت قوتها رافضة للظلم المسلط عبر المسالك، وبدعم كبير من باديس بن زيري الصنهاجي وضع حد لقطاع الطرق، ففي سنة 367 هـ/977م حج باديس بن زيري بالناس:" وفيها هجم عليه اللصوص، وقالوا له: ندفع لك خمسين ألف درهم، ولا تتعرض لنا في المواسم، فقال لكم ذلك، ولكن أجمعوا أصحابكم حتى يكون العقد معكم جميعا، فاجتمعوا فكانوا نيف وثلاثين رجلاً، فقطع أيديهم جميعاً، وأراح الحجاج من سرقتهم[55].

ومع متابعة الاصلاح والحماية تدخل ابن بطوطة في طرق الحج في جدة لرد الحقوق إلى أصحابها ويصرح ذلك بقوله:" فلما ركبنا البحر أمر الشريف منصور أحد غلمانه أنْ يأتيه بعديلة دقيق، وهي نصف حمل وبطّة سمن، يأخذهما من جلب أحل اليمن. فخذهما وأتى بهما إليه، فأتاني التّجار باكين، وذكروا لي أنّ في جوف تلك العديلة عشرة آلاف درهم نقرة، ورغبوا مني أن أكلمه في ردّها، وأن يأخذ سواها، فأتيته وكلمته في ذلك وقلت له: إنّ للتجار في جوف هذه العديلة شيئا، فقال: إن كان سكرا فلا أرده إليهم، وإن كان سوى ذلك فهو لهم، ففتوحا ووجدوا الدراهم، فردها عليهم"[56].

وتحولت قوافل الحجاج إلى المدافع عن أمنهم وسلامتهم، ويسهرون على تجهيز انفسهم عدادا وعدة وكأنها سرية عسكرية تستعد لمواجهة مخاطر المسالك، ويؤكد الونشريسي في نوازله التي أجاب عنها احد الفقهاء بقوله:"فكيف اليوم بما استفاض وشاع من غلبة خوف الطريق من بلد رياح (طرابلس وبرقة) إلى أقصى إفريقية من استضعف من ركوبات الحج فنهب واستبيح مثل الذي كان ووقع في دولة السلطان أبي عنان رحمه الله، ومن كثر عدده من الحاج وقويت شوكتهم مثل الذي كان في العام الفارط، فقد كانوا اجتمعوا على ما استفاض في آلاف كثيرة تزيد على العشرين ألفا من رجال وخيل، ومع ذلك فقد صاروا لا يسالمهم إلا من ضعف عن قتالهم، ومن قوي من القبائل قاتلهم وقاتلوا وقتلهم وقتلوه ولم يتخلصوا بعد القتل والقتال إلا بغرم عظيم من الأموال، وقع لهم ذلك في غير موضع حتى صعب على جمع منهم الانقلاب والمرجع"[57].

والإلزام بقتال البغاة المتمردين والمتسلطين على حجاج بيت الله الحرام هي حتمية فرضتها ظروف المسالك، ولكنها وسيلة لتأمين حياة الحاج تحقيقا لمقاصد الشريعة الاسلامية والتي تنص على حفظ النفس.

تكشف جل القرائن عن تنوع الأساليب والوسائل في الاصلاح ذات البين عند الحجاج، فمنها الموعظة والتوبة إلى الله ومنها القوة لردع الخطر وبخاصة عندما يواجه الحجاج قطاع الطرق وهي كثيرة ومتكررة عبر مختلف المسالك التي يقطنها الأعراب.

الخاتمة

وحاصلة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر عبر طريق الحج إلى الديار المقدسة هو تفعيل الدعوة قلبا ولسانا وفعلا، والوقوف على صحة العقيدة الاسلامية في المسالك الحجية من الممارسات التي ترمي الاصلاح السلوكي والخلقي والروحي والديني لدى المجتمعات المسلمة وغير مسلمة.

ومن الواضح أنّ الحجاج يختلفون من حيث المستوى العلمي والديني، وهذا الاختلاف يقابله مستوى المجتمعات التي كانت مدخلا للمواجهات الواضحة للعيان في الاصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد تنوعت الارشادات بصد العقبات المرتبطة بالأهواء والشهوات، والمتاع، والاعتداء، ومحاربة الفساد والبدع وجميع المحرمات.

ويمكن اعتبار رحلة الحاج الى الديار المقدسة رحلة امتحان لتغيير مجرى الحياة ووسيلة لتغيير السلوك الانساني إلى الصراط المستقيم، ورسالة دعوية للحماية والاصلاح. وتضحيات الحاج هي لمرضاة الله ونشر الاسلام الصحيح والعمل على اصلاح الفساد بالطرق السلمية تارة وبالقوة تارة أخرى.

الهوامش:

1- سورة أل عمران، الآية 104.

2- خالد السبت،الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أصوله وضوابطه وآدابه، المنتدى الإسلامي، ط1، 1995، ص60.

3- ابن محمد القرشي، معالم القربة في أحكام الحسبة، صححه روبت ليون، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص15.

4- الإمام الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي(790هـ/1388م)، الموافقات في أصول الأحكام، الدار الثقافية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج2، ص4.

5- أبو حامد الغرناطي،كتاب المعرب في بعض عجائب المغرب،، 1998م ، ص 38 – 39

6- ابن مليح، أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الأمال والآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد الفاسي، فاس،1968، ص20.

7- عبد الله ابن الصباح الأندلسي، نسبة الاخبار وتذكرة الاخبار، تحقيق جمعة شيخة، مجلة دراسات أندلسية، ديسمبر 2011م، عدد خاص، 45-46، ص191.

8- عبد الله ابن الصباح الاندلسي، المصدر السابق، ص192

9- بلقزيز عبد الله، الخطاب الإصلاحي في المغرب، دار المنتخب، بيروت، ط1،1997م ، ص15.

10- محمود جمال الدين محمد،أصول المجتمع الإسلامي، دار الكتاب المصري ط1، 1992م، ص193.

11- الناصري، المصدر السابق، ص131

12- المصدر نفسه، ص131

13- سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني،الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (م1-م2) ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ص 238

14- التنبكتي لأحمد بابا (963هـ/1036م)، نيل الإبتهاج في تطريز الدَباج، تق عبد الحميد عبد الله الهرامة وآخرون، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس،1998، ص 395، 396.

15- العمري، ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002م، ص 74.

16- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت821هـ/1418م)،صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب، القاهرة، د/ط،1922م، ج 5، ص 285.

17- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 6، 1998م، ج 6، ص 266

18- العمري، المصدر السابق، ص 68 ، 69.

19- عواطف محمد بن يوسف، الرحلة المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، الرياض، 1996م، ص221

20- حسين بن محمد المهدي، الشورى في الشريعة الإسلامية، وزارة الثقافة بدار الكتاب، 2006م.ج1، ص284.

21- التبرك هو طلب البركة، والتبرك بالشئ طلب البركة بواسطته، وتعني البركة في القرآن والسنة: ثبوت الخير ودوامه، أو كثرة الخير وزيادته، أو اجتماعهما معا . ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، التبرك أنواعه وأحكامه، الرياض، مكتبة الرشد، ص39.

22- التجيبي السبتي، القاسم بن يوسف(ت730هـ/1329م)، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس،1975م، ص12.

23- التجيبي، المصدر السابق، ص12-13.

24- المصدر نفسه، ص13.

25- المصدر نفسه، ص13

26- نفسه، ص14

27- نفسه، ص206

28- عين ماضي: منطقة بتلمسان. الناصري، الاستقصاء، ج6، ص30.

29- الحضيكي، أبي عبد اله محمد بن أحمد(ت1189هـ/1774م)، الرحلة الحجازية، تعليق عبد لعالي لمدبر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، ط1، 2001م، الرباط، ص81.

30- الحضيكي، الرحلة الحجازية، ص84

31- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، ط1، ص103.

32- المصدر نفسه، ص103.

33- ابن جبير، المصدر السابق، ص179-180

34- المصدر نفسه، ص180

35- العياشي، عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويد للنشر والتوزيع، ابو ظبي، ط1، 2006.

36- الناصري، المرجع السابق، ص131.

37- الهلالي أبو العباس أحمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد السجلماسي(ت 1175 هـ 1761 /م)، التوجه لحج بيت الله الحرام و زيارة قبره عليه الصلاة والسلام، مخطوط ، خزانة .سيدي عبد الله البلبالي، كوسام -أدرار، ص8-13.

38- ابن جبير، المصدر السابق، ص 38

39- المصدر نفسه، ص 38.

40- المصدر نفسه، ص 39.

41- المصدر نفسه، ص 39.

42- العبدري، المصدر السابق، ص 143.

43- المصدر نفسه، ص 144.

44- المصدر نفسه، ص 147.

45- المصدر نفسه، ص 148

46- الورتلاني، المصدر السابق ص127

47- المصدر نفسه، ص622.

48- ابن رشيد، أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي،ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرميين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1988م، ج 5، ص 265.

49- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص166

50- أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، الجامع لاحكام القران، دار احياء الثراث، بيروت، ج2، ص270 .

51- سورة الحجرات، الآية 9.

52- الورتلاني، المصدر السابق، ص 18

53- المصدر نفسه، ص 8.

54- محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، القاهرة، ط1،1998م، ص83.

55- أحمد بن محمد بن أحمد بن عبده الحضراوي(ت1327هـ/1909م)، مختصر حسن الصفا والابتهاج من ذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق: محمد بن ناصر الخزيم، محمد بن سيد أحمد التمساحي، ط1(القاهرة، مكتبة زهراء الشرق،2006م، ص147

56- الناصري الدرعي، المرجع السابق، ص253-254.

57- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص134-135.

58- الونشريسي أحمد بن يحي(ت914هـ/1508م)،1981م، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحت إشراف محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ج1، ص443

قائمة المصادر والمراجع

- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، ط1.
- ابن رشيد، أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي،ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرميين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1988م، ج 5،
- ابن مليح، أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الأمال والآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد الفاسي، فاس،1968.
- أبو حامد الغرناطي،كتاب المعرب في بعض عجائب المغرب،، 1998م ٠
- التجيبي السبتي، القاسم بن يوسف(ت730هـ/1329م)، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس،1975م.
- التنبكتي لأحمد بابا (963هـ/1036م)، نيل الإبتهاج في تطريز الدَباج، تق عبد الحميد عبد الله الهرامة وآخرون، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس،1998م.
- الحضراوي ، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبده (ت1327هـ/1909م)، مختصر حسن الصفا والابتهاج من ذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق: محمد بن ناصر الخزيم، محمد بن سيد أحمد التمساحي، ط1(القاهرة، مكتبة زهراء الشرق،2006م، ص147
- الحضيكي، أبي عبد اله محمد بن أحمد(ت1189هـ/1774م)، الرحلة الحجازية، تعليق عبد لعالي لمدبر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، ط1، 2001م، الرباط.
- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي(790هـ/1388م)، الموافقات في أصول الأحكام، الدار الثقافية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج2.
- عبد الله ابن الصباح الأندلسي، نسبة الاخبار وتذكرة الاخبار، تحقيق جمعة شيخة، مجلة دراسات أندلسية، ديسمبر 2011م، عدد خاص، 45-46.

- العمري، ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002م.
- العياشي، عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويد للنشر والتوزيع، ابو ظبي، ط1، 2006.
- القرشي ابن محمد، معالم القربة في أحكام الحسبة، صححه روبت ليون، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري ، الجامع لاحكام القران، دار احياء الثراث، بيروت.
- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت821هـ/1418م)،صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب، القاهرة، د/ط،1922م، ج 5.
- الهلالي أبو العباس أحمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد السجلماسي(ت 1175 هـ 1761 /م)، التوجه لحج بيت الله الحرام و زيارة قبره عليه الصلاة والسلام، مخطوط ، خزانة .سيدي عبد الله البلبالي، كوسام -أدرار.
- الورثيلاني سيدي الحسين بن محمد ،الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (م1–م2) ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.
- الونشريسي أحمد بن يحي(ت914هـ/1508م)،1981م، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحت إشراف محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ج1.

- **<u>المراجع</u>**

- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 6، 1998م، ج 6.
- بلقزيز عبد الله، الخطاب الإصلاحي في المغرب، دار المنتخب، بيروت، ط1،1997م
- حسين بن محمد المهدي، الشورى في الشريعة الإسلامية، وزارة الثقافة بدار الكتاب، 2006م.ج1.
- خالد السبت،الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أصوله وضوابطه وآدابه، المنتدى الإسلامي، ط1، 1995.
- عواطف محمد بن يوسف، الرحلة المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، الرياض، 1996م.
- محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، القاهرة، ط1،1998م.
- محمود جمال الدين محمد،أصول المجتمع الإسلامي، دار الكتاب المصري ط1، 1992م.
- ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، التبرك أنواعه وأحكامه، الرياض، مكتبة الرشد.